الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هاشمياته :

تكاد الهاشميات أن تكون كل ما بقى من شعر الكميت . وقد كان للكميت شعر كثير بلغ إلى موته خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً ، ولا أدرى كيف ضاع هذا القدر الكثير من شعر الكميت ، ولعل شهرة الهاشميات هي التي غطت على غيرها من شعره ، فشغل الناس بها عنه .

ومن هاشمياته لاميته التي تبلغ تسعة وثمانين بيتاً ، وقد ابتدأها بقوله :

ألاَ هل عَمٍ فى رأيه متأمِّلُ
وهل مُدْبِرٌ بعد الاساءة مُقْبِلُ

فافت به أهل عصره من الهزل إلى الجد ، وأرسلها صرخة قوية فى آذان أولئك الغافلين ، ليصحوا من غفلتهم ، ويتنبهوا إلى الخطر المحدق بهم ، وهو فى هذا ينسي شخصه ونفسه ، ولا يفكر إلا فى مصلحة أمته ، ولا شك أن من ينظر إلى هذا المطلع وخطره يدرك الفرق الشاسع بينه وبين المطالع العابثة التي اعتاد شعراء العربية أن يفتتحوا بها قصائدهم .

وقد مضى بعد هـــذا يضرب في هذه اللامية على هذا الوتر فقال :

وهل أمة مستيقظون لرشدهم   فيكشف عنه النعسةَ المتزملُ
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى   مساويهم لو كان ذا الميلُ يعدل
وعطلت الأحكام حتى كأننا   على ملة غـــير التى ننتحل
كلام النبيين الهداة كلامنا   وأفعال أهل الجاهلية نفعل

إلى أن قال :

فتلك أمور الناس أضحت كأنها
أمورُ مُضيعٍ آثر النومَ بُهَّـل

ثم أخذ يوجه صرخته إلى خاصة الأمة وساستها ، بعد أن صرخ بذلك فى دهمائها وعامتها ، فقال :

فياساسة هاتوا لنا من حديثكم   ففيكم لعمري ذو أفانين مِقول
أأهل كتاب نحن فيه وأنتم   على الحق نقضى بالكتاب ونعدل
فكيف ومن أنى وإذ نحن خلفة   فريقان شتى تسمنون ونهزل
بُرينا كبرى القدح أوهن متنه   من القوم لا شارٍ ولا متنبل

إلى أن قال :

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم
فحتام حتام العنــــاء الطول
رضوا بفعال السوء عن أمر دينهم
فقد أيتموا طوراً عـداء وأثكلوا
كما رضيتْ بخلا وسوء ولاية   لكلبتها فى أول الدهر حومل
نباحا إذ ما الليل أظلم دونها   وضرباً وتجويعاً خبال مخبلُ
وما ضرب الأمثال فى الجور قبلنا
لأجورَ من حكامنا المتمثـــل
تحلُّ دماء المسلمين لديهمُ   ويحرم طلع النخـلة المتهدِّل
وليس لنا فى الفىء حظ لديهمُ   وليس لنا فى رحلة الناس أرحل
فيارب هل إلا بك النصر يُبتغى   ويارب هل إلا عليك المُعَوَّل

ثم انتقل إلى تذكير الناس بمقتـل الحسين رضى الله عنه ، فقص من أمر هـذه الحادثة الأليمة ما يثير الشجن فى النفوس ، وعاؤها غيظا وسخطا على هؤلاء الملوك ، وفى هذا يقول :

ومن عجب لم أقضه أن خيلهم   لأجوافها تحت العجاجة أزمل
همامِمُ بالمستلئمين عوابس   كحدآن يوم الدجن تعلو وتسفل
يحلِّئْن عن ماء الفرات وظله   حُسَيْناً ولم يُشهر عليهن مُنصل

أرى ابني ثانية » . فانظر إلى الرجل يضع الكتاب ويكب بوجهه على كفيه فيملأهما من روافد دمعه ...

ذلك هو الرجل الذى كان يقوم على شؤون هاتيك الحرب. فلله ما أقسى الأيام ! إن فؤاده ليكتوى بنارها كلها ! وإنه ليحس كل ضربة أو طعنة تصيب كل رجل غيره من الرجال ، ولكن عليه أن يحمل الأهوال ، وإلا فمن يحملها كما يحمل من الأبطال ؟

« يتبع »   الخفيف

كأن حسيناً والبهاليل حوله ... لأسيافهم ما يختلى المتبقل

فلم أر مخذولا أجل مصيبة ... وأوجب منه نُصرة حين يخذل

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم

فيا آخراً أسدى له الغى أول

إلى أن قال :

فان يجمع الله القلوب ونلقهم ... لنا عارض من غير مزن مكال

على الجرد من آل الوجيه ولاحق ... تذكرنا أوتارنا حين تصهل

نكيل لهم بالصاع من ذاك أصوعاً ... ويأتيهم بالسجل من ذاك أسجل

ثم انتقل إلى مقصوده من الدعوة إلى بني هاشم بعد أن ألهب النفوس بذلك وحركها للثورة فقال :

ألا يفزع الأقوامُ مما أظلَّهم ... ولمّا تجبهم ذات ودقين منبل

إلى مَفزَع لن يُنجىَ الناس من عمىً

ولا فتنة إلا إليه التَّحوُّلُ

إلى الهاشميين البهاليل إنهم ... لخائفنا الراجى ملاذ وموئل

إلى أن قال :

فيارب عجل ما يؤمل فيهم ... ليدفأ مقرور ويشبع مرمل

وينفذ فى راض مقر بحكمه ... وفى ساخط منا الكتاب المعطل

فانهم للناس فيما ينوبهم ... غيوث حياً ينفى به المحل ممحل

وانهم للناس فيما ينوبهم ... مصابيح تهدى من ضلال ومنزل

لأهل العمى فيهم شفاء من العمى ... مع النصح لو أن النصيحة تقبل

ثم أخذ يشرح موقفه من هذه الدعوة الهاشمية ، ويلائم بين حاله فى هذه الدعوة الحارة فى شعره ، وحاله فى إحجامه عما يبذله غيره من نفسه في سبيل تأييدها ، ويبين أنه إنما ينتظر بذلك الثورة الكبرى التى تقضى على دولة بنى مروان ، فلا يبخل وقتها بشيء من نفسه وماله ، ولا يرضى بذلك الاحجام الذي يلجأ إليه ، فقال :

لهم من هواى الصفو ماعشت خالصاً

ومن شعرى المخزون والمتنخل

فلا رغبتى فيهم تغيض لرهبة ... ولا عقدتى من حبهم تتحلل

وإنى على حبيهم وتطلعى ... إلى نصرهم أمشى الضراء وأختل

تجود لهم نفسى بما دون وثبة ... تظل بها الغربان حولى تحجل

ولكننى من علة برضاهم ... مقامىَ حتى الآن النفس أجمل

إذا سُمت نفسي نصرهم وتطلعت ... إلى بعض ما فيه الزعاف الممثل

أتتنى بتعليل ومنتنى المنى ... وقد يقبل الأمنية المتعلل

وقالت فعد أنت نفسك صابراً ... كما صبروا أتى القضاء من يعجل

أموتاً على حق كمن مات منهم ... أبو جعفر دون الذى كنت تأمل

أم للغاية القصوى التى إن بلغتها ... فأنت إذن ما أنت والصبر أجمل

فان كان هذا كائناً فهو عندنا ... وإنى من غير اكتفاء لأوجل

ولكن لى فى آل أحمد أسوة

وما قد مضى فى سالف الدهر أطول

على أنى فيما يريد عدوهم ... من العرض الأدنى أسم وأسمل

وإن أبلغ القصوى أخض غمراتها

إذا كره الموت اليراع المملل

ثم قال فى ختامها :

فدونكموها يال أحمد إنها ... مقللة لم يأل فيها المقلل

مهذبة غراء فى غب قولها ... غداة غد تفسير ما قال مجمل

أتتكم على هول الجنان ولم تطع ... لنا ناهياً ممن يلن ويرحل

وما ضرها أن كان فى الترب ثاوياً

زهير وأودى ذو القروح وجرول

عبد المتعال الصعيدى

ظهر حديثاً كتاب

سياسة الغد

برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي

تأليف

مريت بك بطرس غالي

يطلب بالجملة من إدارة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب

الثمن ١٠ قروش بخلاف أجرة البريد